

وائل قنديل يكتب: أن تبكي الكساسبة ثم تمنح تفويضًا بالحرق



5 فبراير 2015

يحدث في زمن العيث أن يدعو واحد من همج السلطة، وإعلامها، جموع المصريين لحرق منازل مصريين آخرين بمن فيها، ثم يدعي الحزن والتأثر أمام مشاهد حرق الطيار الأردني.

في اللحظة التي كان فيها عبد الفتاح السيسي يستثمر حادث الاعتداء على العسكريين في سيناء، لابتنزاز العالم لدعمه، باعتباره "المخلص" له من الإرهاب، الإسلامي فقط كما يراه، في هذه اللحظة، كان تنظيم "داعش" يقدم رأس الرهينة الياباني الثاني هدية لكل الدواعش النظامية العربية.

توقيت إعدام الرهينة الياباني جاء لافتاً، وبدا وكأنه يدعم ذلك الخطاب المنهات لعبد الفتاح السيسي، والذي يهرب به من التقصير والعجز الأمني والسياسي إلى جنة الاتهامات المعجلة للإسلاميين عموماً و"الإخوان" و"حماس" وكتائب القسام على وجه الخصوص.

ثم وبعد ساعات يقدم "التنظيم" هدية أخرى للأنظمة الشبيهة بالإقدام على إعدام الطيار الأردني، معاذ الكساسبة، حرقاً، في مشهد ينتمي إلى أسفل عصور همجية، لتخرج أنظمة لا نقل همجية، مرتدية ثياباً ملائكية بيضاء، تستنكر الجريمة وتدينها، وتذرف الدمع الهتون على القيم الإنسانية، ولا تفوت الفرصة في مداعبة غرائز الجاهزين دوماً لالتقاط الفرصة والربط بين الجريمة والدين الإسلامي.

وهكذا تتواصل هدايا داعش إلى أعداء الإنسانية في كل مكان، إذ يبقى حرق الكساسبة عملاً إرهابياً جباناً ومنحطاً، لا ينافسه في الوضاعة إلا ما ارتكبه دواعش آخرون، حرقوا سيارة ترحيلات أبو زعبل، وقبلها حرقوا المئات في اعتصامٍ رابعة العدوية ونهضة مصر. هناك كذلك زملاؤهم من دواعش البراميل المتفجرة في سورية، بدءاً من جريمة الغوطين وما بعدها.

تقتضي الموضوعية عدم الكيل بمكيالين في المسألة الداعشية، إذ لا يستقيم أن تهتز، وترتجف حزناً ورعباً، وأنت تشاهد لقطات إحراق الكساسبة، وأنت نفسك كنت تهتز رقصاً وتشجيعاً، وأنت تتابع إحراق المئات أحياء في رابعة العدوية. من حقا أن تهتف بسقوط "داعش"، لكن المنطق والعدل يفرضان عليك ألا تنسى بقية الدواعش.

والشاهد من متابعة ردود الأفعال على جريمة حرق الطيار الأردني أن الموضوع الإنساني مهمش إلى حد بعيد، تحت كثافة الانتهازية السياسية والأيدولوجية التي سادت مواقف مؤسسات "دواعش الأنظمة" من ساسة ورجال دين وإعلاميين ومنعفين، فرأينا من ينقل المعركة مع قطاعة ما ارتكبه التنظيم إلى النيل من العقيدة الإسلامية نفسها، مقدماً وجبة إضافية ساخنة، لأصحاب الشهية، المفتوحة طوال الوقت، لاتهام الدين الإسلامي ذاته، من خلال الزعم أن التعذيب بالحرق من صحيح الفقه الإسلامي، وهو كلام منحط يردد روايات ساقطة، لم يقم عليها دليل نقلي، أو عقلي، مثل فرية أن أبا بكر الصديق حرق "الفجاءة" وقت الردّة، وهذه رواية كذبها العلماء، فلم تصح من طريق واحد، غير أن بعض الأفاقين من الجانبين يحاولون استخدامها، لتبرير سلوك داعش، أو للطنع في الدين.

إن الدين الذي يقول رسوله صلى الله عليه وسلم "إياكم والمثلة، ولو بالكلب العقور" بريء من انحطاط حرق الكساسبة، كما أنه بريء من انحطاط أشد يتمثل في تبرير "دواعش الأزهر والكنيسة" جريمة إبادة المعتصمين ضد الانقلاب، بحجة المصلحة العامة.

لقد دعوا المصريين إلى الخروج، مرة أخرى، لمنح القتلة تفويضاً جديداً بالحرق والإبادة، فتذكر، وأنت ذاهب لتفويضهم أنهم سيحرقون به مصريين مثلك، تعرفهم ويعرفونك، تربطك بهم صلاتٌ هي، بالتأكيد، أعمق وأبقى من لحظة الجنون العابرة التي يعيشها وطن.

إنهم يدعونك إلى محرقة لا تغل في ضراوتها وبشاعتها عن جريمة إعدام الطيار الأردني التي أُرقتك وأسالت دموعك، فلا تنس أن تنظر إلى نفسك في المرأة، وأنت تتأهب للخروج إلى تفويض بالحرق والقتل عداً.

* العربي الجديد في 5/2/2015

www.ikhwanonline.com/221457